اجتهادات
نُفورُ من البَوْح !

البوحُ ليس معروفًا فى الثقافة العربية إلا فيما قل. الكتمانُ غالبُ فيها، والميلُ إلى الإخفاء سائدُ فى كتابة السير الذاتية وسير القريبين، حتى إذا كان فى البوح فائدةً لمن يبوح. ولهذا فعندما يبوحُ من يكتب سيرته يبدو لمن يتابعُه كما لو أنه من عجائب قومٍ لم يُجبلوا على ذلك. هكذا بدا محمد شكرى مثلاً عندما نشر الجزء الأول من سيرته «الخبز الحافى» بالعربية عام 1982، بخلاف ما حدث عند نشرها بالإنجليزية والفرنسية. وكذلك كان الحال مع سيرة لويس عوض «أوراق العمر.. سنوات التكوين» عندما نُشرت عام 1989، بل أُعدمت النسخُ الباقيةُ من تلك الطبعة عقب رحيله بناءً على طلب بعض أفراد عائلته.
ويختلفُ الأمر فى الثقافة الغربية، حيث يحظى البوحُ بقبولٍ واسع، وتقديرٍ أيضًا فى بعض الحالات على أساس أنه نزعُ لقناعٍ يُظهرُ المرء على غير حقيقته.

ولهذا لم أتوقع جديدًا عندما بدأتُ فى الاطلاع على كتاب منى قطان «صورة شخصية لزوجة شاعر» عن السنوات التى جمعتها والراحل الكبير صلاح جاهين، برغم أنه أحدُ من يفيدُ البوحُ فى إجلاء ما بقى غامضًا لكثيرين عن التحول الجذرى فى موقفه السياسى بفعل صدمة 1967، التى كان وقعُها عليه أشد من أى مثقفٍ عربيٍ آخر. فقد عرَّضه ذلك التحول إلى نقدٍ صار هجومًا شديدًا بسبب موقفه إزاء ما اعتُبر سلامًا مع إسرائيل, بدون تقدير ظروفه غير المعلومة فى حينها.

فى الكتاب مرورُ سريعُ على ما حدث له بدون أيٍ من التفاصيل التى قد تُسهمُ فى تغيير صورة رسمها بعضُ المثقفين والسياسيين له بفعل تحولاته السياسية. لا نجدُ فيه سوى إشارة إلى بداية معاناته من الاكتئاب، ورغبته فى الهجرة إلى مكانٍ بعيدٍ جدًا لا يعرفُه فيه أحد مثل نيوزيلندا، ودلالتها على أنه كان يبتعدُ يومًا بعد يوم.

سلامُ لروح المُبدع الجميل الذى أسرف فى الرهان على حلمٍ لم يكن له أساس. وغلبه شعورُه الطاغى بالذنب، الذى لا يصدرُ إلا عن نفسٍ لوأَّمةٍ يقلُ مثلها، فاهتز نفسيًا وسياسيًا، ولم يجد من يُقدِرُ حالته تلك.